



(من رسائل أم سليم إلى مسلمة القرن الحادي والعشرين)

— فاطمة محمد شنون - سورية —

عندما يفلسك حب الحق، ويتفرد بقلبك، يصنع لك دنيا من جمال خاص بك إذا ما خلوت إلى ذاتك، وأخرى من خير وحب تفيض بها على من حولك، كأنك تملك كل مفاتيح الخير والجمال. ولئن عد بعضهم الجواهر والفرائد ثروة فإن القلب الملآن بحب الحق يرى ثروته في مواقف وكلمات وأحداث تجمعها بقمم العقول والقلوب. وثروتني الفريدة مواقف مع سيد خلق الله تختصر العمر كله.. أقوال وأبيات وأفعال تترف الروح، وتتحف القلب، وثروة أفيض منها خيرا ونورا على كل من يقيض الله له أن يعرف شيئا عن أم سليم، أم خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم.. المرأة التي قال فيها رسول الله: «دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي.. فإذا أنا بالغميصاء بنت مليحان».

رسول الله يسمع خشفتي بين يديه في الجنة! أي سجد يسع شوق قلبي إلى الشكر!؟ أجتان لي.. جنة البشرى، وجنة الله!؟

وجعلت أستفرغ طاقات القلب والفكر والجسد لأتخذ من المواقف ما يرضيه، وكنت بحكم ملازمة

- يا رسول الله! أتخذة.. إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه!

وأنست في وجهه ذلك التسامح الذي أعهد، فأخذتني الحماسة، وأدركت أنه لن يجاري رغبة أبي طلحة الخفية في انتزاع الخنجر مني، فحركت الجراة لساني:

- أقتل الطلقاء، وأضرب أعناقهم إن انهزموا بك..!

كان بي من الإخلاص للنور الذي أنزل معه ما جعلني على ثقة بأن رسول الله لن يخذلني.. وجدير برسول الله ألا يخذل قلبا فيه ما أعرف بقلبي من تعلق بالحق، وتقان في سبيل إحقاقه.

وتبسم رسول الله: «يا أم سليم.. إن الله قد كفى وأحسن».

ومع كل كلمة من رسول الله بنبت لي ألف جناح.. كل كلمة تستنفر ذاتي كلها، وتجندها للإحاطة بها، كما يجدر بمولى عاشق أن يحيط برسالة وليه.

لقد تركنا رسول الله -على تضاد قضيتنا- راضيين! أما أبو طلحة فقد أمن علي وعلى ولده اندفاعي الذي يعرف.

وأما أنا فقد احتفظت بخنجري، وشفيت نفسا تشفيها وتغنيها تلك الصلة الحميمة بسيد الخلق حتى لتتسى المنى والرباب.

لقد آمنت بالله ورسوله.. سعيت إلى قلب الإيمان بحب وتضامن وعزيمة، فانفتحت لي الطرقات إلى أقصى مرامي طموح العقل وجموح الفؤاد، وامحى من أوراق العمر ما يدعى بالمستحيل، فكان في كل سنبل مليون حبة، وكانت كل عنابر الأرض إلى آخر سنبل عليها صحبة رسول الله ﷺ ■

أنس له، وجواري أم سلمة، وحرصني على الحج مع نسائه، في دائرة بصره، فكان لي بذلك مكان أقر العين، وأفعم القلب.

كان رسول الله يدخل بيتي، وكان لا يدخل بيتا غيره إلا على أزواجه، فكانت تعصف بي فرحة تستخفني، فأفتح راحتي، أعجب من الدنيا كلها كيف تتطوي فيها.. وكان ذلك يمنحني القدرة على التطلع والحلم.. أنا المرأة التي يصلي رسول الله على حصيرها، ويقيل على بساطها، ويشرب من قربتها، ويداعب طفلها، ويتقبل تحفتها.. أنا المرأة التي تدوف طيبها بعرق سيد رجال الدنيا، وخير خلق الله..!

أنا أخافك أيتها المرأة.. أي عيب.. أن تتقمصي جسدي؟ أية مسلمة ينبغي لي أن أكون؟ أية زوجة أم لأكون جديرة بي؟

يا صاحبة القلب الذي يختزن هذه الذكريات.. أوقن أن ذلك القلب لن يموت أبدا، أوقن أنه سيبقى وذكرياتك في القلوب المؤمنة، يروي لها حكايات أيام لن تغيب شمسها عن الأرض، لتكون لها تذكرة، وتعيها أذن واعية.

مع رسول الله شهدنا حنيننا.. وكنت أحمل ثمرة دعائه المبارك لما امتحن الله قلوبنا للتقوى بفقد أبي عمير.. وكان أبو طلحة يلازمني خشية أن آتي في الميدان ما يعرض جنيني للخطر، ولم أكن قد صارحته بأنني أصطحب خنجري نفسه الذي رافقني في أحد، فقد كان دوري في الميدان لا يتطلب استعمال السلاح، فلما اكتشفه فزع إلى رسول الله لهفان:

- يا رسول الله! هذه أم سليم معها خنجر..! وكنت أعرف رحمة رسول الله بي، وعنايته بأمري:

أسهم الخطراوي إسهامًا فاعلاً في إثراء هذه النشاطات والفعاليات، من خلال إصداراته في الشعر والنثر، إضافة إلى حضوره في مجال الإذاعة والصحافة.

ولقد أخذت المدينة المنورة موقعها الأثير في أدب الخطراوي، لتخلق أرواحنا معه بجمال طبيعتها، ومتانة أصالتها، وعميق طهرها من خلال ديوانيه (ثرثرة على ضفاف العقيق)، و(على أعتاب المحبوبة).

فقد تصوتت المدينة بالريحان، وعزف الشعراء أجمل ألحانهم في حبها، فهي مدينة العفاف والجمال، وللخطراوي في حبها عشق، ترجمه نغمة شاعرية في قصائده، أضاعت كلماته؛ ومولده بها كان سبباً آخر في تعلقه بحبها، حيث اتصل روح الشاعر بها.^(١)

وفي هذا المقال أحاول إلقاء الضوء على العلاقة بين المدينة المنورة ومحمد العيد الخطراوي في شعره من خلال العناصر التالية: افتخار الخطراوي بالمدينة المنورة، التفتي لطيبة الطيبة، معالم المدينة المنورة في شعر الخطراوي.

يعد محمد العيد الخطراوي من الشعراء السعوديين المؤسسين لأسرة الوادي المبارك (نسبة لوادي العقيق بالمدينة المنورة)، وهي من تلك الأسر الأدبية والمجالس الثقافية الجادة في الاضطلاع بحركة التنوير، ونشر الثقافة والتواصل مع العديد من العلماء والمفكرين، والمتقنين والأدباء في المملكة والعالم الإسلامي، الذين كانوا يزورون المدينة المنورة، ويلقون محاضرات فيها، وتوجت جهود تلك الأسرة الأدبية بتأسيس النادي الأدبي الثقافي بالمدينة المنورة عطفًا على ما أقامته من نشاطات وفعاليات كانت جزءًا من الحياة الأدبية والثقافية في طيبة الطيبة.

المدينة المنورة

في شعر محمد العيد الخطراوي

محمد عباس محمد عرابي - مصر

